2

سلسلة روايات الشباب

الخضراء



اهداءات ٢٠٠٢

مركز العالمية لدراسات و ابحاث الكتاب الاخضر

ليبيا

سلسلة روايات الشباب 2



عبد الأمير عبد الله



المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر
طرابلس - الجماهيرية

الطبعة الأولى
1988 م.

هاتف: 40705 - 45565 ـ مبرق: 20032 - 20668
ص.ب: 80984 ـ طرابلس ـ الجماهيرية

قال الابن لأبيه، عندما كنت طفلاً يا أبى، حكى لى جدِّى حكاية الغول الذى كان يحمل فى فمه بقرة وعلى كتفه شجرة. . . يوقد الشجرة ويشوى على نارها البقرة ويأكلها بأكملها. وأن هذا الغول كان يأكل قطيعاً كبيراً من الأبقار والأغنام والجمال. وأضاف الابن مستغرباً: أنا أشك بوجود كائن يأكل هذه الكمية من اللحم. كائن يستطيع التهام بلدة بمن فيها؟!!

ضحك الأب وقال لابنه: صحيح ما رواه جدّك عن الغول، الغـول ما زال موجوداً ولكنه ليس الغول الخرافى الذى حكى جدُّك حكايته، الغول موجود بين البشر، وهو مثل الناس بشرٌ مثلهم، ولكنه للأسف يأكل أبناء جنسه. يأكل أتعابهم وإنتاجهم. الغول هو ذلك المستغل الذى يستعبـد النـاس، يستـأجـرهم ويـأكـل أتعابهـم ويبتلع حصصهم. تصوَّر ما أكبر بطن هذا الغول، تصور غولاً كان يأكل يومياً وجبة ما يزيد عن ألف رجل. . . .

* سأل الابن بدهشة وهل يعقل هذا؟ رجلٌ يأكل وجبة ألف رجل!!!

ضحك الأب وقال لابنه: سأحكى لك حكاية هذا الغول، الذى كان يأكل الناس وكيف استطعنا القضاء عليه فى الخضراء. ولكن لى رجاءً وهو أن تسمع الحكاية من

أولها إلى آخرها حتى تعرف ماذا حصل وكيف. . . تقول الحكاية. .

كان مما كان فى سالف الزمان، كانت الخضراء.

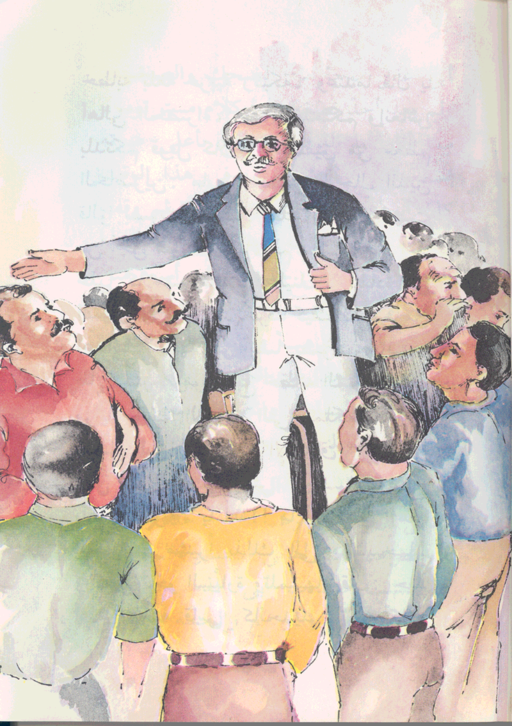
دخلت السيارة إلى الخضراء وسط ذهول المتقدمين فى السن والذين لم يكونوا رأوا السيَّارة من قبل وصلت إلى الساحة الخضراء وكان جمع من الناس في استقبالها، ترجل من السيَّارة السوداء رجل أشيب الشعر، يضع على عينيه نظارتين، شارباه كصوف خروف ولد قبل ساعة، ركض الأطفال نحو السيَّارة وبدأوا يدورون حولها. ينظرون إلى مصابيحها، ويتفحصون إطاراتها وزجاجها.

كان يرافق الزائر، رجل من الخضراء معروفٌ بالبخل والخسَّة والدناءة والكذب والرياء والمداهنة وقد أطلق عليه أهالى

الخضراء لقب أبى الذهب. أسموه بهذا الاسم لأنه يعمل بالربا ومن خلال ما حققه من فوائد وأرباح عن طريق الربا استطاع أن يكنز الكثير من المال والذهب بشكل خاص. فعندما كان يستدين منه أحد الفلاحين مالاً بفائدة إلى أجل مسمًّى، كان لا يقبل رهن المال إلا الذهب، حلى النساء وأساورهن وخواتم الصبايا وعقودهن... لذا أطلق أهالى الخضراء على هذا الرجل اسم «أبى الذهب».

وقف أبو الذهب ونادى بأعلى صوته، يا أهالى الخضراء، نرجو الإصغاء لأن حضرة المستر «تومو» سيلقى كلمة بهذه المناسبة...

مناسبة دخول السيَّارة إلى الخضراء... وما أن انتهى أبو الذهب من كلامه حتى اعتلى «تومو» الكرسى وبدأ



خطابه بلغة عربية ركيكة، وعندما قال يا أهالى الخضراء، جئنا لخدمتكم وإنعاش بلدتكم قوبل كلامه بالتصفيق من معظم الحاضرين. ما عدا بعض الرجال الذين قالوا بصوت خافت: هذه الخدمة ليست من أجل سواد عيوننا، ثم عقب رجل آخر على كلامهم قائلاً: علينا الاستفادة من السيَّارة ولا بأس إن عرفنا كيف نستفيد من أعدائنا. قالها هو أيضاً بصوت خافت.

ظلَّ مستر «تومو» يتابع خطابه الممل معدداً مزايا ماركة السيارة التى يملكها، وأنها أفضل السيارات على الإطلاق... فجأة أطلَّ أبو عقل درويش الخضراء وصاح بأعلى صوته: يا الله!! ما أكبر عينى هذا الحيوان ـ مشيراً بذلك إلى مصابيحها ـ وركض نحو السيَّارة وتلمسها وقال: جلدٌ أملس لكنه قاسٍ كالحديد أثار كلام

أبى عقل موجة من الضحك والصخب، ولم يعد أحدٌ يصغى إلى كلام مستر تومو، مما أثار أبا الذهب فصاح بأعلى صوته إسمعوا... أنصتوا... فى هذا الوقت كان أبو عقل ينام تحت السيَّارة ثم وقف وصاح بأعلى صوته: يا إلهى أمعاء هذا الحيوان وقلبه من حديد، قلبه أسود مثل قلب أبى الذهب... ابن اليهودية. غضب أبو الذهب وأشار إلى المستر «تومو» فنزل هذا عن الكرسى وسارا معاً، صعدا إلى السيارة، وانصرفا وسط تظاهرة من الزعيق والتصفير والضحك.

أبو الذهب ابن اليهودية، هكذا يقول أهالى الخضراء، رغم أن جدَّ جدِّه ولد فى الخضراء، لكن أهالى الخضراء لم يقبلوا أن تنسب صفات أبى الذهب إليهم، البخل والطمع والجشع والخسَّة والتعامل

مع المستعمر المحتل والربا، كل هذه الصفات لصقها أهالى الخضراء بحليب أبى الذهب، أى أمه، وبالفعل فإن أم أبى الذهب مجهولة الهوية.

عاد أطفال الخضراء إلى منازلهم، كل يلفّه حلم متى أكبر لأشترى سيّارة؟ أما الرجال فقد انقسموا فئتين: فئة تقول: السيّارة آلة جيفة يستعملها المحتلون لقهرنا وسرقة خيراتنا وعلينا أن نقاطعها، أما الفئة الثانية فكان رأيها: علينا أن نستفيد من عدونا ونحاربه بسلاحه ولا بأس إن استفدنا من أعدائنا.

السيّارة الثانية التى دخلت إلى الخضراء كانت سيّارة الطبيب، هذا الرجل الطيب الذى أحبّه أهالى الخضراء حباً كبيراً. . . كان يضطر لقطع مسافات طويلة فى الحر والمطر لتقديم المساعدة والدواء



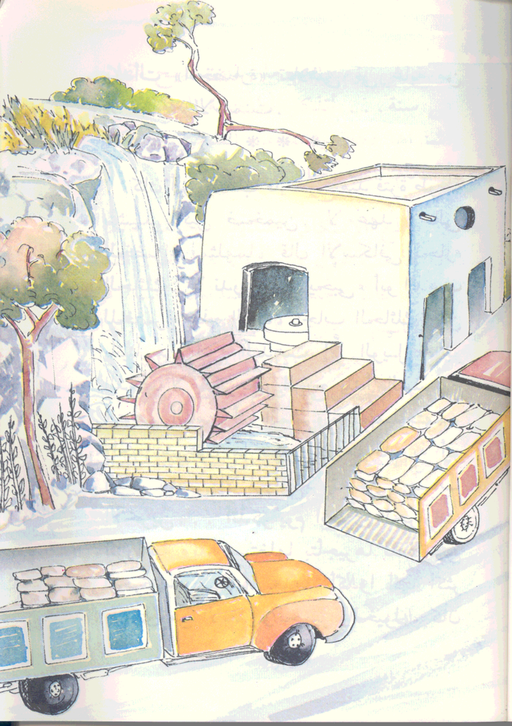
إلى مريض وينقذ حياة إنسان فى حالة
خطرٍ.. قال ذات يوم بعدما استدعى
لعلاجٍ طفل أصيب بالتسمم: سأشترى
سيّارة ولو كلفنى ذلك الصوم عن
الطعام... سمع أهالى الخضراء عبارة
الطبيب، فاجتمعوا وقرروا جمع مبلغ من
المال من أهالى الخضراء، يشترون به
سيّارة للطبيب الإنسانى... استقبال
سيّارة الطبيب كان مختلفاً عن سيّارة مستر
«تومو» فى المكان نفسه. ساحة
الخضراء، وقف شيخ من أهالى الخضراء
وقال: إخوانى أهالى الخضراء أخانا
وحبيبنا الدكتور محمد: إننا نفخر،
واعترافاً منا بالجميل الذى قدمته لأهالى
الخضراء وهم أهلك وعشيرتك، وأنت
ابنهم نفخر أن نقدم لك هذه السيَّارة
المتواضعة ونحن نعلم أنها ستكون لصالح

الجميـع، جميع أبنـاء الخضـراء دون استثناء. . . بعد أن انتهى الشيخ من كلامه وقف الطبيب الدكتور محمد، ورد بكلمة قال فيها: إننى أعتبر هذه السيَّارة ديناً فى ذمتى لأهالى الخضراء، وسيـأتى اليوم الذى أردّ فيه التحية بمثلها. . . وما أن انتهى الطبيب من كلامه حتى تقدمت صبية كالبدر فى ليلة التمام، عيناها كغابتى نخيـل وقدّهـا رشيق كالغـزالة وقـدمت للطبيب باقة من الـزهر. . . ثم تقـدم الأطفال وزينوا السيارة بأشكال من الخرز الملون والفضة والنحاس. . . ثم أقبلت فتاة شعرها كشلال من النـور الأسود، خداها كشقائق النعمان، عيناها ليل البادية وقدمت للطبيب رقعة من الحرير الطبيعى طرزت عليها اسم ـ الدكتور محمد .

توالى دخول السيارات إلى الخضراء،

تارة بحكم الضرورة وتارة بدافع الغيرة والتقليد، استدان الكثيرون من أبى الذهب مالاً ليشتروا السيارات.

بدأت سيارات التجار تتوافد إلى الخضراء، حاملة بعض السلع التى لا عهد لهم بها وكل ما يلفت أنظار الأطفال من لعب وحلوى وغير ذلك، وعندما رأى التجار رواج بضائعهم أدخلوا سلعاً جديدة، ثم بدأ أهالى القرى المجاورة يفدون إلى سوق الخضراء حاملين منتجاتهم الزراعية يبيعونها ويشترون بأثمانها سلعاً. . غصَّت ساحة الخضراء بالآلاف من الوافدين بائعين ومشترين، فاتسع السوق على حساب الحقول والبساتين التى تحولت إلى محلات تجارية. . ضاع الهدوء وسط الضجيج،



وبدأت «الخضارة» تتلاشى فى غابة من الحجارة والاسمنت.

* * *

كان أبو الذهب قد شرع منذ فترة طويلة بتشييد بنائين ضخمين. لا عهد لأهالى الخضراء بمثلهما، قال الإسكافى لجاره الحائك: لا ندرى ماذا يخبىء أبو الذهب للخضراء هذه المرَّة، أجاب الحائك: لن يأتينا من أبى الذهب إلاَّ الويل، أبو الذهب لا يفكر بغير الربح يبدأ بالمشروع فيتوهم الناس أن المشروع لمصلحتهم، ولكن سرعان ما يتبين أن ما قام به أبو الذهب ليس إلاَّ لزيادة ثروته على حساب الآخرين. . . أتذكر يوم اشترى الجرارات الزراعية وبدأ يستغلها بتأجيرها للفلاحين ليحرثوا أرضهم، بعدما تأكدوا أنها أكثر جدوى من الأبقار والحمير والخيول، كان

يربح فى يوم واحد ما يساوى ربح الفلاح فى سنة. . . أتذكر الطاحونة الحديثة التى اشتراها فكان يأخذ من الطحين ما يكفى لإطعام ألف رجل فى اليوم. . .

قاطع الإسكافى صديقه الحائك قائلاً: أبو الذهب غول لا يشبع، هو الغول نفسه الذى كان أجدادنا يتحدثون عنه فى حكاياتهم، غول الحكاية يأكل الأغنام والبشر والشجر. وأبو الذهب يأكل كل شىء، الجمال والأغنام والبشر والشجر. الغول الذى كانوا يتحدثون عنه لا يشبع وأبو الذهب لا يشبع، وربما كان أجدادنا يرمزون إلى الحاكم الظالم باسم الغول.

أفاق أهالى الخضراء ذات صباح على أصوات محركات وآلات، قال أحدهم:



أبو الذهب يجرى التجارب على مصنعيه
مصنع للنسيج وآخر للأحذية... بعد أيام
كان أهالى الخضراء يحضرون حفل افتتاح
المصنعين الجديدين... تحدث أبو
الذهب عن مزايا مصنع النسيج وقدرته
الإنتاجية ومما قاله: هذا المصنع «يستطيع
إنتاج آلاف الأثواب فى اليوم الواحد،
ولكننا سنكتفى بإنتاج ألف ثوب فى اليوم
فقط، والأمر نفسه بالنسبة لمصنع
الأحذية... قاطعه أحد الحضور
متسائلاً: ولماذا لا تنتج عدداً أكبر من
الأثواب والأحذية فالمواد الخام موجودة
والمصنع موجود والعمال موجودون، وعدد
المحتاجين للثياب والأحذية يزيد عن
خمسة آلاف إنسان. ضحك أبو الذهب
فبدت أسنانه الذهبية كأسنان ذئب ملوثة
بالدم وقال: أنا عندما أفكر بالإنتاج أبدأ

بإحصاء القادرين على شراء الثياب وليس عدد العراة. أقوم بإحصاء عدد القادرين على شراء الأحذية وليس عدد الحفاة. قوبل كلام أبى الذهب بالاستنكار من معظم الحضور. لكن الاستنكار بقى صامتاً... صوت واحد خرج من بين الجميع عالياً: سنجعل من جلدك أحذية للحفاة إذا لزم الأمر.

* * *

بدأ أهالى الخضراء ينظرون إلى ما آلت إليه أوضاع بلدتهم بشىء من الريبة والشك خاصة وأن بعض أبناء البلدة تركوا أرضهم بوراً وفضلوا العمل فى المصانع. كان هؤلاء ممن عرفوا بالكسل، لكن الأمر بلغ حداً من الخطورة عندما بدأت تفد إلى الخضراء منتجات زراعية تنتجها أرض

الخضراء، استوردها أبو الـذهب وراح
يبيعها بأسعار أقل من تلك التى تباع بها
المنتجـات المحليـة، فـاضـطر معـظم
الفـلاحين لتـرك أرضهم بـوراً وأهملوا
بساتينهم وانضموا إلى عمَّال المصانـع
ليعملوا أجراء كالعبيد. . .

لم يقف أبو الذهب عن هذا الحد. بل
بدأ ببناء مجمعات سكنية أجَّرها للعمال
وكان يحسم إيجار البيت من أجر العامل،
حتى أصبـح العمَّال مضـطرين للعمـل
ساعات إضافية لسد العجز. . . خاصة
بعدما رفـع أبو الـذهب أسعار المـواد
الغذائية وزاد ساعات العمل فى المصانع.
سـاد التذمـر أجواء الخضـراء فأقفـرت
شوارعها واصفرَّت أشجارهـا. واختفت
الأغنية والابتسامة من أفواه أبنائها فبدت
«قفراء» لا حياة فيها. . . حادث واحد

تناقله أبناء الخضراء بفرح وأخرج الجميع من صمتهم، وطبع البسمة على جميع الشفاه. كان يوم عطلة وبينما كان أبو الذهب يهمُّ بصعود سيارته هجم عليه أبو عقل وانهال عليه ضرباً بعصاه، حتى سال الدم من أبى الذهب. ألقى القبض على أبى عقل وأرسل إلى إحدى المصحات العقلية. . . هذه الحادثة جعلت الكثيرين يفكرون ويتساءلون عن سبب تصرف أبى عقل هذا الذى لم يصدر عنه أى أذى فى حياته، لكن الجميع كانوا يعلمون أن أبا عقل لم يكن مخطئاً فى سلوكه هذا.

فى اليوم الثانى لنفى أبى عقل إلى المصحة العقلية وجدت فوق جدران منازل الخضراء ومحلاتها التجارية ومصانعها شعارات تقول:



غــولٌ يـلتهـم الخـضــراء
كم فى الأمــر من عجب
لا تـلتبـســوا بـالأسـمـاء
إنــه يـدعى أبــو الـذهب

وصلت أخبار تلك الشعارات إلى أبى الذهب فأمر أزلامه وأعوانه بمحوها من على الجدران، وبالفعل فقد تمّت إزالة تلك الشعارات من على الجدران، لكن أبا الذهب لم يستطع محوها من ذاكرة وقلوب أبناء الخضراء.

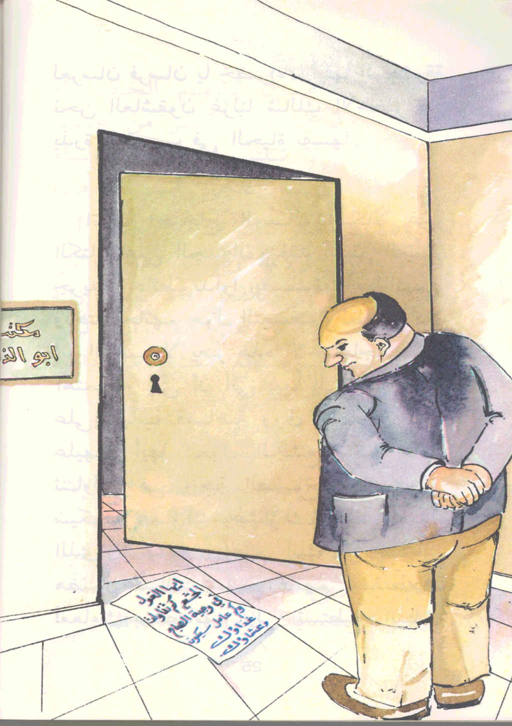


يا خضراء أيتها الحياة المتجددة، إلاَمَ ستبقين هكذا مثقلة بالحزن؟ أين رجالك الذين زرعوا أسماءهم بسنابك الخيل فوق صخرة التاريخ الصلبة؟ يا خضراء يا أمّنا، بهية أنت بصباياك اللواتى خبأن الخصب

لعرسان فرسان يا خضراء، أيتها المعشوقة نحن العاشقون غزلنا شالك الأخضر من بذرة الخصب فى الحياة نفسها.

* * *

اتخذ احتجاج العمَّـال أشكالاً غيـر الكتابة على الجدران، فقد أسس العمَّال جريدة حائط بدأوا يضمنونها مطالبهم، واحتجاجاتهم حول التعسف والظلم، كان أبو الذهب لا يعير هذه الاحتجاجات كل اهتمامـه إلى أن أتى يوماً إلى بيته فوجد على الباب قصاصة ورق ملصوقة كتب عليها: أيها الغول الجشع، كم عامل تنـاولت فى وجبة الصبـاح وكم عامـل سيكون غداؤك وعشاؤك. أيها الغـول الذى لا يشبع، إعلم أنك لن تستطيع هضم عمَّـال النسيج لأنهم سيقـطّعون أمعاءك بمقصاتهم ولن تستطيع ابتـلاع


ابو
ايها الغول
المتجهم كم تناولت
في وجبة الصباح
كم عامل سيكون
غداؤك
وعشاؤك.

عمَّال الأحذية لأنهم سيمزقون بلعومك بالسكاكين لن تستطيع ابتلاع الفلاحين لأنهم سيشقُّون بمحاريثهم قلبك القاسى. لن تستطيع أيها الغول ابتلاع الخضراء... الخضراء ستبقى.

قرأ أبو الذهب هذه الكلمات فطار صوابه واستدعى على عجل مساعديه وأزلامه ومدراء المصانع ومدير أعماله وقال لهم: لقد بلغت الأمور حداً خطيراً، ثم تلا على أسماعهم ما جاء فى الإنذار الموجه إليه وأضاف: علينا تدبير الأمور قبل أن تفلت المبادرة من أيدينا استأذن مدير أعمال أبى الذهب الكلام وقال: أرى أنه من الأجدى أن نقدم للعمَّال بعض ما يطالبون به، كأن نرفع الأجور مثلاً، ونخفض عدد ساعات العمل، وبهذا الفتات نرضى عدداً كبيراً

من العمال ونقطع الطريق على المحرّضين أولئك الذين يبثون أفكار المساواة بين العمَّال.

ضحك أبو الذهب وهزَّ برأسه علامة الإعجاب وقال: هذا ما كنت أفكر به، اطلبوا إلى عمَّال المصانع أن يسموا ممثلين عنهم لكى ينقلوا مطالب العمَّال وأنا أتدبر أمور هؤلاء الممثلين.

تمَّ انتخاب ممثلين عن العمَّال، وسط احتجاج البعض الذين قالوا نحن نمثل أنفسنا، ولا نقبل بأن يمثلنا أحد. وأضاف أحدهم: التمثيل كذب. اجتمع أبو الذهب إلى ممثلى العمَّال الذين نقلوا مطالبهم فوافق على تحقيق بعض المطالب فخفض ساعات العمل ووافق على تحديد حد أدنى للأجور واعطاء أجرة

العمل الإضافى والإجازات السنوية وعدم صرف العمَّال تعسفياً واشترط لتحقيق هذه الأمور أن يزيد العمَّال إنتاجهم وذلك لكى يعوّضوا ما أخذوه.

هذه الإنجازات كان لها وقع حسن فى نفوس العمَّال، فأقبلوا على العمل بهمة أكبر حتى يحافظوا على هذه الإنجازات، وهكذا استطاع أبو الذهب أن يأخذ بيده اليسرى ما أعطاه للعمال فى يده اليمنى...

* * *

أبى يصنع الثياب وأنا عارٍ
عمى يصنع الأحذية وأنا حافى القدمين
ثوبى وحذائى فى بطن الغول

أبو الذهب يأكل ثياب الأطفال
يأكل كعك العيد، يسرق هدية المولود

الجديد. لا تقعد يا أبى لا تقعد، هذه
فرسك، هيًّا امتطِ صهوة فرسك... هيًّا
يا ابن الخضراء.

ها أن ثمة صباح وضاء هجم على
الظلمة وتعالى فى الخضراء.
إلام تبقى يا أبى أجيراً!.
أنا لست ابن عبد أجير.
انفض عنى غبار الذل يا أبى
وألبسنى عباءة الكبرياء.
الكبرياء عباءة حاكها أجدادنا فى
الخضراء
الخضراء مصنع الكرامة والكبرياء.

* * *

خلال فترة الاستراحة فى مصنع النسيج
دار بين عاملين هذا الحوار.

العامل الأول: أنا أعتقد أننا نلنا حقوقنا



كاملة، وحصلنا على كل الضمانات التى نرغبها.

العامل الثانى: لسنا سوى أجراء، هذا إن لم أقل عبيداً، نحن عبيدٌ عند أبى الذهب.

الأول: أنا لست عبداً، أنا أعمل وأتقاضى ثمن عملى.

الثانى: سمعت ابنى اليوم يقول: أبى يصنع الثياب الجديدة وثوبى رثٌ قديم وعمى يصنع الأحذية وحذائى مثقوب.

الأول: لم أفهم... ماذا تقصد؟

الثانى: أقصد أننا ننتج سلعاً لا يحق لنا استهلاكها. بل نتنازل عنها مقابل أجر يدفعه لنا «أبو الذهب».

الأول: إذن لتكن ملكية المصنع للنقابات العمالية..

الثانى: يتحول رؤساء النقابات إلى أبوات الذهب، وهم على أى حال فى وضعهم الحالى قد أصبحوا «أبواب الفضة».

الأول: نجعل الملكية للدولة.

الثانى: تصبح الدولة أم الذهب، ونبقى أجراء عند الدولة، لا حل بنقل الملكية من يدٍ إلى يد، طالما أننا سنبقى أجراء.

الأول: وما هو الحل برأيك؟.

الثانى: الحل بإلغاء الأجرة، والعودة إلى قانون الطبيعة، قانون الأرض أمّنا التى علمتنا العدالة قبل ظهور الأغنياء والفقراء، قبل ظهور النقابات وقانون العمل.

الأول: وما هو قانون الطبيعة هذا؟.

الثانى: قانون الطبيعة لا يقبل بقوانين

أبى الذهب هذا الذى نال أكثر من حاجته من الثروة.

الأول: لم أفهم.

الثانى: إذا حلّلنا عوامل الإنتاج الاقتصادى منذ القدم وحتى الآن. ودائماً، نجدها تتكون حتماً من عناصر إنتاج أساسية، وهى مواد إنتاج. ووسيلة إنتاج ومنتج، والقاعدة الطبيعية للمساواة هى: أنه لكل عنصر من عناصر الإنتاج حصة فى هذا الإنتاج... العناصر الثلاثة ضرورية ولا بدّ من أن تتساوى فى المنفعة من الإنتاج.

الأول: ماذا ينال العمّال من الإنتاج فى هذه الحالة؟.

الثانى: إذا تمت عملية الإنتاج بواسطة عنصرين فلكل عنصر حصة، أما إذا تمت

بواسطة ثلاثة عناصر يصير لكل عنصر ثلث الإنتاج. أى أن عمَّال النسيج لهم الثلث وللمصنع الثلث والثلث الباقي لمواد الإنتاج. العمَّال شركاء لا أجراء.

الأول: وما هى حصة «أبى الذهب» من الإنتاج.

الثانى: يأخذ بقدر ما ينتج، ولأنه لا ينتج فلن يأخذ شيئاً.

* * *

كانت ساعة المصنع قد أعلنت انتهاء فترة الاستراحة، لكن أحداً من العمَّال لم يبرح مكانه... وآخر كلمة سمعها أبو الذهب كانت: أبو الذهب لن يأخذ من الإنتاج شيئاً.

صاح أبو الذهب بصوت جنونى، موجهاً كلامه إلى العامل الثانى أنت مطرود

من العمل أيها المشاغب، أخرج من هنا.
تدخل رئيس النقابة وقال لأبي الذهب: لا
يحق لك طرده قبل أن تعطيه حقوقه
كاملة: ارتفعت أصوات العمَّال جميعاً
محتجة: نحن لا نقبل بحكم النقابة.
النقابات لا تمثلنا.

غضب رئيس النقابة وصرخ: أنا رئيس
النقابة، انتخبت من قبل الأكثرية.

أجاب العمَّال: الانتخابات تدجيل
وقانون العمل تدجيل أيضاً. نحن العمَّال
نمثّل أنفسنا، لن نكون تابعين لقانون أبى
الذهب... أخرج من هنا يا أبا الفضة.
خرج أبو الذهب خائفاً يتبعه رئيس النقابة
أمَّا منتجو المصنع فقد شكلوا مؤتمراً
شعبياً إنتاجياً قرروا فيه أن يكون المصنع
ملكاً للمنتجين العاملين فى المصنع



وليس لأبى الذهب. وأن ترسم السياسة الإنتاجية والإدارية للمصنع من خلالهم جميعاً فى المؤتمر الشعبى الإنتاجى وفى نهاية الاجتماع صعدوا لجنة شعبية لتنفيذ قراراتهم. على أن لا تتعدى صلاحياتها تنفيذ مقررات مؤتمرهم.

فى اليوم الثانى حضر إلى المصنع مدير أعمال أبى الذهب وكان يدعى «مرتزق» وقابل أمين اللجنة الشعبية للمصنع المدعو «صالح». هذه اللجنة التى تم تصعيدها فى المؤتمر الشعبى الإنتاجى، بعدما حددت صلاحياتها.

سأل «مرتزق» مستغرباً، وهو يوجه كلامه إلى أمين اللجنة الشعبية: كيف تسمحون لأنفسكم مصادرة أموال الغير يا صالح؟.

أجاب أمين اللجنة (صالح): ومن هم الغير الذين تتحدث عنهم يا مرتزق.
قال مرتزق: الغير هو أبو الذهب، صاحب المصنع ومالكه.

ضحك صالح وأجاب: لكنه رجل واحد، وأنت قدمته بصيغة الجمع، جعلتنى أعتقد أن «الغير» هم أهالي الخضراء، وعلى أى حال فأنا لست مخولاً لأكون متكلماً باسم الجميع، «منتجو المصنع» وإن أردت أن تنقل أراءك فعليك أن تناقش المؤتمر الشعبى الإنتاجى فى المصنع الذى تظن أنه ملك لأبى الذهب».

ضاق «مرتزق» ذرعاً وقال لصالح: دعنا نتفاهم نحن الاثنان فقد نصل إلى نتيجة، وما شأننا والدهماء، هؤلاء العمّال الذين

لا يعرفون إلا الاحتجاج ورفع الأيادى والكلام فى آن واحد، أنا أعرفهم يا صالح..

ابتسم صالح وأجاب: لكننى معجب بهؤلاء الذين تسميهم دهماء وإن شئت فأنا أيضاً من هؤلاء الدهماء. لكننى لست مخولاً للتحدث باسمهم غداً يمكنك اللقاء بهم فى المؤتمر الشعبى الإنتاجى الذى اتفق المنتجون على تشكيله، فى هذا المؤتمر يمكنك أن تطرح وجهة نظر سيدك أبى الذهب.

خرج مرتزق من المصنع، وهو يقول فى نفسه لا بدَّ من أن أجد حلاً مع هؤلاء البسطاء الجهلة. ثم ذهب لتوِّه إلى بيت سيده أبى الذهب. وقال له:

إعلم يا سيدى أن القضية سهلة، غداً

سنلتقى مع المستخدمين فى المصنع
لنناقش وإياهم مسألة المصنع. ولا بدّ من
اقناعهم بإعطائهم بعض الفتات، كأن نقول
لهم لكم حصة من أرباح المصنع، ولكم
كل الضمانات الصحية والاجتماعية،
نعدهم بتعليم أولادهم على حساب
المصنع.

لم يرق هذا الكلام لأبى الذهب وقال
لمدير أعماله مرتزق: هذا كثير على
هؤلاء، لماذا نعطيهم كل هذه
المكاسب!.

أجاب مرتزق: مهما أعطيتهم تبقى
أنت الرابح الأكبر، أعطِ القليل ليبقى لك
الكثير.

* * *

فى اليوم الثانى، عقد المؤتمر الشعبى

الإنتاجى، وكان مـرتزق أول الحضـور وبدأت المناقشة:

قـدَّم ابراهيم - أى أمين المؤتمـر - «مرتزقاً» يشرح آراءه حول ملكية المصنع:

وقف مرتزق واستهلَّ كلامه بالقول: أيها الإخوان، لقد عشنا معاً. أكلنا من خبز واحد وشربنا من ماء واحدة وتعبنا معاً فى سبيل ازدهار هذا المصنع، نحن إخوة فى المأكل والمشـرب والتعب... وكلكم يعلم كم قدم لنا جميعاً سيدنا أبو الذهب من مكاسب، تخفيض ساعـات العمل وزيادة الأجور، وإعطاء الإجازة السنوية، وهو يفكر بأن تكون لكم حصص فى الأرباح وأن يكون التطبيب والتعليم على نفقـة المصنع. لـذلك أرجـو التجاوب والإيجابية حتى لا نضطر لاتخاذ إجراءات قانونية لدى السلطات الحاكمة.

بعدما انتهى مرتزق من كلامه وقف منتج من منتجي المصنع وقال له: صحيح أننا أكلنا من خبز واحد، لكننا نحن الذين زرعنا ونحن الذين حصدنا، ونحن الذين خبزنا أنت وسيدك وأمثالك، أكلتم فقط.

صحيح أننا شربنا من ماء واحدة، لكننا نحن الذين حفرنا ونحن الذين تعبنا وعطشنا. وكان تعبنا مالحاً، وأنت الذي ارتوى من دون أى عناء... وتقول بأننا تعبنا معاً فى سبيل هذا المصنع، لا نعتقد ذلك، نحن الذين كنا نقاسى الحرَّ والتعب وأنت كنت جالساً فى مكتبك المبرّد، وقد تكون قد تعبت من الكسل.

ثم تحدث عامل آخر وقال لمرتزق: تقول إننا إخوة والإخوة لا يستغل بعضهم البعض الآخر، وتقول بأن أبا الذهب أعطانا الكثير، فمن أين جاء أبو الذهب

بما أعطانا إياه. . . كل ما يملكه أبو الـذهـب من أتـعـابنـا. الـمصـنـع والعمارات والذهب والمال ثيابه وثيابك التى تلبسها كلها من أتعابنا.

خرج مرتزق. . . روى لأبى الذهب ما حصل.

قال أبو الذهب: ليكن. . . لكن القصة لم تنتهِ بعد. . . . . . .















المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر
هاتف: 40705 - 45565 - 45594
مبرق: GREEN BOOK 20668 - 20032
ص.ب: 4491 - طرابلس - الجماهيرية